**لاحتكم الى ألياف الشجر**
**اعيدي الي هروف وجهي**
**لاحتكم الى العواصف المقبلة**
**اعيدي الي اسباب فرحي**
**لاحتكم الى التراجع الذي لا سبب له**
**لان صوتي يابس كسارية العلم**
**ويدي فارغة كالنشيد الوطني**
**ولان ظلي واسع كمهرجان**
**وقسمات وجهي تتنزه في سيارة الاسعاف**
**لاتي هكذا ،**
**فانا مواطن في مملكة لم تولد ..**

وسيكون دون شك استحضارا مشوها ، لان الاستقرار والكثافة في العاطفة والمخيلة مما اللذين نتجا عن تجربة طويلة لدى الماغوط ليس من السهل ان يتوفرا في محاولة درويش الجديدة ، وهي محاولة هامة وجريئة . فلقد أراد الشاعر لا ان يتخطى وجهه القديم ، بل ان يخرج منه خطوة جديدة تشكل اضافة أخرى ومنحى آخر . ولكنه في رأيي ، لم يوفق ، كما أراد لنفسه ، في قصائد النثر التي نشرت تحت عنوان « المزامير » بقدر ما وفق في القصائد الاخرى التي تضمنتها المجموعة « احبك أو لا أحبك » . انه فيها يتفجر داخل غنائيته ، التي لم يتخل عنها وحسنا يفعل ، ويصالح بينها وبين الرؤيا الشبكية المعقدة للقصيدة الحديثة . انه لم يتح للغنائية ان تغنى في خضم المباشرة والخطابية ، وضمير المتكلم الواحد ، بل هو يعالجها لا لتكون اساسا بل عاملا مساعدا لتقريب هذا التقاطع والتركيب والجدل داخل القصيدة . ولعل العنوان ذاته يقف شاهدا على مناخ الرؤيا الجديد « أحبك أو لا أحبك » حيث يشكل تجاذب هذين الطرفين المتناقضين دائرة ، هي وحدة حية لكل شيء ، وهي تذكرنا بوحدة النقيض هذه في مجموعة الشاعر عبدالوهاب البياتي « الذي يأتي ولا يأتي » و« الموت في الحياة » . ولكن محمود درويش ، هذا الشاعر الذي جبل من ارض مستلبة ، ونشأ ونما على التحديق بها ، يملك القدرة على معرفة حدوده والقدرة على تلمس جراحه ، وهو لهذا يدرك الذي يضعه أمام بصيرته حين يكتب . ان فلسطين في شعر درويش هي وحدة كل شيء ، دائرة يتجاذب فيها الموت والحياة ، الحب واللاحب ، الشيء واللاشيء ، الصراخ والسكوت . لان انبعاثها يحتاج الى رماد ، وحياتها تحتاج الى موت . وليست هذه المعادلة الا بديلا موضوعيا للفدائي والارض ، وليس الفدائي والارض الا تجسيدا لهذه المعادلة ، من هنا تتحكم هذه اللعبة السحرية في رؤية محمود درويش « فالفدائيون اسرى توقهم للموت » من اجل احياء الارض ، كما ان الموت تذكرة الدخول الى الوطن ، حين يكون « الكلام خطيئة ، والصمت منفى » .

في قصيدة « عائد الى يافا » التي كتبها الشاعر عن الشهيد الفلسطيني ابو علي اياد ، استعادة مجسدة وحية لتلك المعادلة ، الموت — الحياة او الموت — العودة . وهي قصيدة تقف برأيي الخاص في مقدمة قصائد المجموعة جودة ونضجا . ان شفافيتها ونموها المتزن يعطيانها حاسة القصيدة الواحدة ، واشير بهذا الى بعض قصائد محمود في المجموعة وعلى رأسها قصيدة « قتلوك في الوادي » ، حيث يذهب فيها ، شأنه في بعض قصائده السابقة ، مذهب المقاطع الغنائية التي تشبه « التوقيعات » ، بحيث تنفرط القصيدة الى قصائد ، تفصلها حدة غنائيتها واستقلالها، بعضها عن البعض الاخر . وقصيدة « عائد الى يافا » هي الاخرى ، وبشكل ظاهري ، مجزأة الى مقاطع تفرزها فواصل بيضاء او منقطة ، ولكن القارىء انما يجد تلك الفواصل جزءا له دوره داخل بنية القصيدة ، وليس مجرد مساحة لاتاحة فرصة شعرية جديدة . وهي تبدأ بمقدمة أشبه ما تكون بمقدمات الاساطير ، وتختتم بها ، لتشكل دورة تامة ، والمقدمة غنيا مستوحاة من مقدمة « ملحمة كلكامش » البابلية ، في حين تبدو القصيدة من ناحيتها الشكلية متضمنة الاستيحاء العام من « ملحمة كلكامش » تلك ، حيث البحث عن الابدية هناك والعودة الى الارض الام هنا .

**هو الآن يرحل عنا**
**ويسكن يافا**
**ويعرفها حجرا .. حجرا**
**ولا شيء يشبهه**
**والاغاني**
**تقلده ..**
**تقلد موعده الاخضرا .**

في القصيدة يتفجر ذلك التجاذب بين الرماد والانبعاث والموت والحياة ، وان جاء هنا بصورة اكثر تلقائية واكثر مباشرة ، فها هو البطل يرحل